محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ — ١٩١٨ ، قسمان . (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤) .

مضمون ومادة هذا الكتاب أوسع من عنوانه ، وأضيق من العنوان في نفس الوقت . ومن الناحية الاولى ، فان الكتاب لا يقدم فقط تاريخا للحركة الصهيونية خلال الفترة المذكورة ، وانما يتناول تاريخ « الحركة اليهودية » أو تاريخ أغلب روافدها ما بين ١٨٩٧ و١٩١٨ . ومن ناحية ثانية ، فان فترة الدراسة أضيق كثيرا من الفترة المحددة في العنوان ، وتكاد تكون مركزة فيما بين ١٩١٤ و١٩١٨ ، بحيث يكون تناول ما قبل ذلك مجرد تمهيد لدراسة التيارات اليهودية — صهيونية وغير صهيونية — من سنوات الحرب العالمية الاولى . وقد أشار الى ذلك الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم [الذي أشرف على هذه الدراسة الجامعية الممتازة] فذكر ان الموضوع تناول « فترة زمنية قصيرة ، هي فترة الحرب العالمية الاولى ، بعد تمهيد قصير للفترة السابقة منذ اجتماع المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ حتى قيام الحرب » . ومن الافضل ان تسمى الاشياء بأسمائها ، فالاخذ بعنوان الكتاب يؤدي الى الحكم على الجزء الخاص بما قبل الحرب العالمية الاولى بأنه ضعيف للغاية ، حين نقارنه بالبحث العميق ، والتقصي الشامل لاحداث السنوات ١٩١٤ — ١٩١٨ ، مع ان الامر ليس كذلك حين نرى في ذلك الجزء مجرد تقديم وتمهيد لصلب الموضوع .

وأيا كان الامر ، فان الفصل التمهيدي ، الخاص بمجالات التحرك الصهيوني قبل الحرب العالمية الاولى ، يعتبر مع الخاتمة أضعف حلقات هذا السفر الضخم الذي يقع في قسمين الاول يتكون من ٣٩٨ صفحة والثاني يضم حوالي ٣٠٠ صفحة ، بالاضافة الى ٢٧٨ صفحة من الملاحق . وينقسم الكتاب الى اثني عشر فصلا ، قد يغني ايراد أسمائها عن محاولة العرض والتلخيص ، وتحمل الفصول العناوين التالية : تطور اوضاع اليهود الروس قبيل الحرب العالمية الاولى واثناءها ، التشكيلات الصهيونية واليهودية في وسط وغرب اوربا والولايات المتحدة الامريكية اثناء الحرب ، يهود فلسطين قبيل الحرب العالمية الاولى واثناءها ، دوافع التقارب البريطاني الصهيوني ، التحرك الصهيوني نحو الدوائر البريطانية ، المباحثات البريطانية الصهيونية غير الرسمية ، موقف اليهود المعارضين للصهيونية ، المباحثات البريطانية الصهيونية الرسمية ، الاصداء العالمية لتصريح بلفور ، العرب وتصريح بلفور ، لجنة وايزمان الى فلسطين ، أصول التكوين العسكري الصهيوني .

وسبقت هذه الفصول مقدمة كتبها المؤلف عبارة من تلخيص للكتاب وتعريف بالمراجع التي استند اليها والمنهج الذي اتبعه ، كما سبقها الفصل التمهيدي من الحركة الصهيونية قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . ونلت الفصول خاتمة سريعة لا تتلاءم بأي حال مع مثل هذه الدراسة القيمة ، وبما يمكن استنباطه من دروس مستفادة من خلال هذه القراءة المتمعنة والفاحصة للعمل الصهيوني خلال فترة من أكثر فترات النشاط الصهيوني جهدا ، ومثابرة .

ونظرة واحدة الى محتويات الكتاب كما ذكرت اعلاه ، تجعل صاحبها يضع يديه على ملاحظتين هامتين في هذه الدراسة العلمية الرصينة :

الملاحظة الاولى : صعوبة تلخيص الدراسة ، وذلك بسبب غزارة معلوماتها ، وكثرة التشعبات في الرصد والعرض . وقد جمع الكاتب مادة علمية غزيرة حول موضوعه ، خاصة في أغلب الامور الفرعية ووضع يده على جوانب وقضايا قلما درسها باحثون عرب بهذا القدر من التوسع والاستيعاب . ولكن بعض الجوانب غطيت بشكل أفضل من جوانب أخرى . وفي كل ذلك ، اتبع المؤلف جانب السرد ، وايراد الحقائق وربطها في تسلسل او تتابع تاريخي ، بحيث طغى ذلك في أغلب الاحوال على جانب التحليل . والسبب في ذلك هو المنهج التقليدي الذي اتبعه المؤلف ، بحيث ان أطار التقسيم فرض عليه ضعف الجانب التحليلي ، مما أوقعه — دون قصد — في عثرات كان يمكن أن يتجنبها .

مثال ذلك ، ان المؤلف يتابع موقف كل دولة او كتلة من الدول تجاه الحركة الصهيونية . ومن خلال